﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ [الفرقان: 64]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

ذِكْرُ تَهَجُّدِ عِبادِ الرَّحْمَنِ لِرَبِّ العالَمِينَ بَعْدَ ذِكْرِ تَواضُعِهِم وحِوارِهِم مَعَ الجاهِلِينَ

لَمّا ذَكر اللهُ ﷻ ما بينَ عبادِهِ وبينَ الخلقِ مِنَ الأقوالِ والأفعالِ، وكانَ الغالِبُ عَلى ذَلِكَ أَن يكونَ جَلْوَةً نَهارًا؛ أعقبَهُ بِذِكْرِ ما بينَهُم وبينَ خالِقِهم مِنْ ذَلِكَ خلوةً لَيْلًا، فقالَ سُبْحانَهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَبِيتُونَ﴾: (بيت) تدُلُّ اشتِقاقاتُها على حَيِّزٍ مُحيطٍ يُسْتَقَرُّ فيه، ومِنْهُ البيتُ، وهو مسكَنُ الإنسان ونحوه، كقولِ اللّه تَعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ [الأعراف: 74]، ومِنْ مَلْحَظِ السُّكونِ والاسْتِقْرارِ الفعلُ (باتَ)، بِمَعْنى: أَدْرَكَهُ اللَّيْلُ، وهو زمنُ السُّكون، يُقال: باتَ يَفْعَلُ كذا، أي: ظَلَّ يَفْعَلُهُ ليلًا، ومِنْهُ قولُ اللّه سُبْحانَهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا﴾[2]، وعن الفرّاء: بات الرَّجلُ؛ إذا سهر اللَّيلَ كلَّهُ في طاعة اللّه أو معصيته، وقال اللَّيث: البيتوتة دخولك في اللَّيل، يقال: بِتُّ أصنع كذا وكذا[3].

❁ المَعْنى الإِجْمالِيُّ:

حالُ عِبادِ اللهِ في صَلاتِهِم بِاللَّيْلِ وهُم يُعاقِبونَ بَيْنَ السُّجودِ والقيامِ

الَّذينَ يَبيتونَ لِرَبِّهِم ﷻ يُصَلّون، يُراوِحونَ بينَ سُجودٍ في صَلاتِهِم وقيامٍ[4]، وهم يبيتون في طاعة اللّه تعالى وعبادته، ويذكرونه ذِكْرًا كثيرًا في رُكوعِهم وسجودهم، والمَعْنى: يكونون ساجِدين لربِّهم وقائمينَ، أَيْ: يُحْيون اللَّيلَ كلَّا أو بعضًا بالصَّلاة، وقد قال تعالى في

(1) ابن باديس، مجالس التّذكير: 192 - 193.
(2) محمد حسن جبل، العجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (بيت).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (بيت).
(4) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 296.

صفتهم في موضعٍ آخرَ مِنَ القرآن: ﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨﴾ [الذّاريات: 17 - 18][1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ وصْلِ الآيَةِ بِما قَبْلَها:

قولُ اللهِ تَعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا﴾ معطوفٌ على قولِهِ سُبْحانَهُ قبلُ: ﴿ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾؛ لاشْتِراكِهما في الخبريَّةِ، وبينَهُما مناسبَةٌ لفظيَّةٌ ومعنَويَّة، فأمّا اللَّفْظيَّةُ؛ فاتِّحادُهُما في الاسميَّةِ، وأمّا المَعْنَويَّةُ؛ فلأنَّ كِلتا الجُملَتَيْنِ في بيانِ أَعْمالِ عِبادِ الرَّحمن.

مُراعاةُ التَّناسُبِ اللَّفْظيِّ والمَعْنَويِّ في الجُملَتَيْنِ

دِلالَةُ إعادَةِ المَوصولِ (الذينَ):

أُعيد الموصولُ (الّذين) في قولِ اللّه تَعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا﴾ لتأكيدِ أَنَّهُم يُعْرَفون بِمَضْمونِ الصِّلة؛ إذْ مِن شأنِ الصِّلَةِ أَن تَكونَ مِمّا يُعرَفُ، ولا يُنكَرُ، وهذا دالٌّ عَلى شُهْرَتِهم بالصَّلاة في اللَّيْلِ[2]، والموصول وجملته هنا: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا﴾ "بيانٌ لحالِهم في معاملتِهم مع ربِّهم، أي: يكونون ساجِدين لربِّهم وقائمين، أي: يحيّون اللَّيلَ كُلًّا أو بعضًا بالصَّلاة"[3]، ومن أحبَّ لقاءَ اللّه تعالى في خَلواتِه؛ أحبَّ اللّهُ سُبحانَهُ لقاءَه يوم القيامة في جَلواتِه.

شُهْرَةُ أَهْلِ الإيمانِ بِالصَّلاةِ في اللَّيْلِ ميزَةٌ لَهُم وكَرامَةٌ

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِالفِعْلِ المُضارِعِ ﴿يَبِيتُونَ﴾:

جاءَ التَّعبيرُ بالفعل المُضارِع ﴿يَبِيتُونَ﴾ من قولِ اللّه سُبحانَهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا﴾ للدِّلالةِ عَلى التَّجدُّد الاستمراريِّ، وذلك دالٌّ على أنَّ صلاتَهُم باللَّيل كانت على وجْهِ الاسْتِمرارِ، حتّى

صَلاةُ الصّالِحينَ بِاللَّيْلِ مِنْ عاداتِهِمُ الدَّؤوبَةِ الثّابِتَةِ

(1) إسماعيل حقي، روح البيان: 6/ 242.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 70.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 228.

صارت دَأْبًا لَهُم، و(البيتوتة) لغةً: الدُّخول في اللَّيل، ممّا يعبِّرُ عَنْهُ لفظ ﴿يَبِيتُونَ﴾، يقال: بات يَفْعَلُ كَذا يَبيتُ ويَباتُ؛ إذا فعلَهُ ليلًا، وقد تُسْتَعارُ البَيْتوتَةُ لِلكَيْنونَةِ مُطْلقًا، فتَكونُ مَجازًا، إلّا أنَّ الحقيقةَ أَوْلى؛ لكثرة ما وردَ في مَعْناها من الآيات والذِّكر الحكيم، ولذلك قال جماعةٌ مِنَ السَّلف: في الآية مدحُ قيام اللَّيل والثَّناء على أَهْلِه[1]، وهم أهلٌ لهذا الثَّناء، قال الشّاعر في وصف النَّبيِّ ﷺ، بالتَّهجُّد وقيام اللَّيل:

وفينا رَسولُ اللهِ يَتْلو كِتابَهُ *** إذا انْشَقَّ مَعْروفٌ مِنَ الفَجْرِ ساطِعُ

أرانا الهُدى بَعْدَ العَمى فقُلوبُنا *** بِهِ موقِناتٌ أنَّ ما قالَ واقعُ

يَبيتُ يُجافي جَنْبَهُ عنْ فِراشِهِ *** إذا اسْتَثْقَلَتْ بالمُشْرِكينَ المَضاجِعُ[2]

دِلالَةُ تَقْديمِ الجارِّ والمَجْرورِ ﴿لِرَبِّهِمْ﴾:

إخْلاصُ عِبادِ اللهِ تَعالى في طاعَتِهِم لَهُ سُبْحانَهُ سَبَبٌ لِلقُرْبِ والتَّسامي

قُدِّم الجارُّ والمجرورُ ﴿لِرَبِّهِمْ﴾ في قولِ اللهِ سُبْحانَهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا﴾ للدَّلالَةِ على القَصْرِ والحَصْر؛ إذْ إنَّ تَقْديمَ ما حَقُّه التَّأخيرُ يدُلُّ عَلى ذَلِكَ، ففي الآيَةِ دِلالَةٌ عَلى إخْلاصِهِم للهِ تَعالى في أداءِ صَلاتِهِم وابْتِغاء وجْهِ رَبِّهِم الكريم، فلا يَسْجُدونَ لِغَيْرِه؛ إذْ لا يَعْبُدونَ غَيْرَهُ، ولا يَسْجُدونَ لِسِواه[3].

سِرُّ اخْتيارِ اسْمِ اللهِ (الرَّبِّ):

مِنْ بَواعِثِ الصَّلاةِ بِاللَّيْلِ شُكْرُ اللهِ سُبْحانَهُ عَلى أَفْضالِهِ

اخْتيرَ اسْمُ اللهِ تَعالى (الرَّبِّ) في قولِ اللهِ سُبْحانَهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا﴾ للإيماءِ إلى الباعِثِ لِعِبادِ الرَّحْمن عَلى الصَّلاة في اللَّيل ودَوامِهِم عَلَيْها، وهو شُكْرُ اللهِ سبحانَهُ على نِعَمِه وأفضالِه[4]، والمَعْنى: أنَّهم لا يَفْتؤون يتزَلَّفون إلى اللهِ تَعالى بِطاعَتِه، شُكْرًا لَهُ عَلى

(1) القاسميّ، محاسن التَّأويل: 7/ 436.

(2) الأبيات مرويّة في صحيح البخاري (رقم الحديث: 1155) عن أبي هريرة، وهي لعبد الله بن رواحة ﷺ يمدح النّبي ﷺ.

(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 422، وأبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 10/ 5313، والقاسميّ، محاسن التّأويل: 7/ 436.

(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 422.

أَفْضالِه ونِعَمِه، "أي: إنَّهم يَبيتونَ ساجِدين لرَبِّهم خاضِعين، وقائمين له، وقدَّم قوله تَعالى: ﴿لِرَبِّهِمْ﴾؛ لبيان قَصْرِ السُّجود عليه، فلا يَسْجُدون لغيرِه؛ إذْ لا يَعْبُدون غيرَهُ، ولا يَسْجُدون لِسِواهُ"[1].

دِلالَةُ تَقْديمِ السُّجودِ عَلى القيامِ:

السُّجودُ أَشَدُّ أَرْكانِ الصَّلاةِ قُرْبًا إلى اللهِ تَعالى

قُدِّم السُّجود على القيام في قولِ اللهِ سُبْحانَه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا﴾ مع أنَّه مُتَأَخِّر عنهُ في الفِعْلِ؛ لأنَّه أشَدُّ أركانِ الصَّلاة تقريبًا إلى اللهِ سُبحانه؛ لكونه الغايةَ في الخُضوع، ولأنَّه الفعلُ الَّذي يأباهُ الجاهلونَ، كما قالَ اللهُ تعالى عَنْهُم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَـٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا۩﴾، مَعَ ما في تقديمِ السُّجود على القيام مِن مُراعاةِ تَناسُب فواصلِ الآي، فإنَّ الآيةَ قَبْلَها خُتِمَت بـ ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾، والآيةَ بعدَها بـ ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾[2].

بلاغةُ الكِنايَةِ في لَفْظَتَي ﴿سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا﴾:

التَّنْبيهُ عَلى شَرَفِ القيامِ والسُّجودِ في الصَّلاةِ

ذُكِر السُّجودُ والقيامُ في قول اللهِ سُبْحانَه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا﴾؛ كنايةً عَن الصَّلاةِ، والمعنى: أنَّهم يُصَلّون، ويتهجَّدون طائعينَ لِرَبِّهم تعالى، وقد وقعَ الإطنابُ في التَّعبير عن الصَّلاة بذِكْرِ رُكْنَيْنِ مِن أركانِها؛ تَنْويهًا بِهما وتَشْريفًا[3].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

(سُجَّدٌ) و(سُجودٌ):

(سُجَّد): مُشْعِرٌ بِالحَرَكَةِ المُدْرَكَةِ بِالعَيْنِ، و(السُّجودُ): يَدُلُّ عَلى السُّجودِ الظّاهِرِ والباطِنِ

الفرق بين (سُجَّدٍ) و(سُجودٍ) – مرادًا به جمعُ (ساجِدٍ) –[4] أنَّ جمعَ (ساجِدٍ) على (سُجَّدٍ) مُشْعِرٌ بالحركةِ الظّاهرةِ الَّتي تُدرَكُها

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5313.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 127، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 422، والآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 44، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 70.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 70.
(4) فاضل السّامرائيّ، معاني الأبنية: 133 - 135.

العينُ؛ لأنَّ هذا الجمع (فُعَّل) يدلُّ على الحركة الظّاهرة، ويدلُّ أيضًا على تكثير القيام بالفعل، ودلالتُهُ على الحركة الظّاهرةِ أبرزُ، بخلافِ (السُّجودِ)؛ فإنَّهُ يُطْلَقُ على المصدر، ويُطلق جمعًا لـ (ساجدٍ)، ويدلُّ هذا الجمعُ على السُّجود الظّاهر والباطنِ، ولذا قال ابنُ القيّم: "السُّجودُ في الأَصْلِ مصدرٌ، كالخشوع والخضوع، وهو يتناول السُّجود الظّاهر والباطن ... و(السُّجَّد) في جمع (ساجد)، لم يتناول إلّا المعنى الظّاهر، وكذلك الرُّكَّع، ألا تراه يقول: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ [الفتح: 29]، وهذه رؤيةُ العين، وهي لا تتعلَّق إلّا بالظّاهر"[1].

فالسُّجَّدُ دالٌّ على مجرَّد الحركةِ الظّاهرةِ، وقد ورد لفظ (السُّجَّد) في القرآن الكريم، في أحدَ عشر موضعًا، كلُّها تدلُّ على هذا المعنى.

أمّا (السُّجود)؛ فقد ورد في ستَّةِ مواضع، منها موضعان يُرادُ بهما جمع (ساجدٍ)، وهما قول الله تعالى: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة: 125]، وقوله سبحانه: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ [الحج: 26]، والمقصود: السُّجودُ الكاملُ الجامع بين الظّاهر والباطنِ؛ لأنَّه هو المناسبُ لِمَعْنى التَّطهير.

(1) ابن القيّم، بدائع الفوائد: 1/ 66.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والثلاثون،
سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 38 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-80-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 38 : المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-80-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5248773 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»